التيار التجريبي الحسي (l'empirisme) :

العمق التاريخي لمصطلح التجريبية:

ظهر المصطلح في أواخر القرن السادس عشر والسابع عشر كجزء نقدي من علمنه المعرفة ما بعد كوبرنيكوس، في الغرب وبالذات في ما يتعلق بالعلم والطب، وتشهد تجارب غاليليو المحتفى بها على سبيل المثال على إرادة وليدة بين الناس المتطلعين إلى معرفة العالم الطبيعي على وضع المعتقدات عن المادة والحركة على أساس الملاحظة المباشرة وليس على الأسس الكيفية التي كان يعلم بها آباء الكنيسة (فيما يتعلق بالعلم) او المرجعيات العلمية القديمة الإغريق مثل غالينوس فيما يتعلق بالطب مثلا، ففب الفلسفة الغربية تشير التجريبية إلى التقليد الابستمولوجي الذي يضع دعاوي المعرفة على القضايا الحقيقية و الوجود الواقعي. وفي القرن العشرين احتلت التجريبية موقع المركز في مناقشة فلسفة العلم خاصة مع ظهور الوضعية المنطقية في بواكير القرن العشرين التي تصر على أن المعرفة الحقيقية هي التي تتأسس على ظواهر يمكن التحقق منها تجريبيا، وصولا الى نقاد التجريبية مثل كارل بوبر 1934 و ت ، س لاكون 1962 وغيرهم الذين شككوا بالتجربة على أساس كونها عجزت عن تفسير القوى الاجتماعية والتاريخية الأوسع التي تنتج ادراكاتنا للعالم .

أهم أعلام التيار التجريبي الحسي:

يمكن اعتبار جون لوك(1632 –1704) الأب المؤسس للتجريبية والذي يرفض الأطروحة القائلة بوجود أفكار فطرية في الذهن وهو يعتبر أن جميع أفكارنا أتية من التجربة، كما يعتبر دافيد هيوم (1711 –1776) الوجه الآخر الممثل للتجريبية الكلاسيكية والذي حاول أن يشرح مبدأ السببية التي اعتبرها تستند فقط الى العادة والمخيلة. كما دافع رودولف كارناب (1891–1970) عن التصور العلمي

للعالم يقوم على أسس تجريبية حسية وذلك في إطار تزعمه لما يسمى حلقة فيينا التي انتظمت في نهاية العشرينات.

ماهية وحجج المذهب التجريبي الحسي:

مذهب فلسفي يرجع كل المعرفة ومادتها وقوانينها الى التجربة ومعنى ذلك أنه لا يوجد شيء في العقل ما لم يوجد في الحس، إذا التجربة التي مصدرها الحس هي المنبع الأول لجميع الأفكار.

ويعتقد التجريبيون أن الإنسان يتعرض إلى معارف كثيرة ومتنوعة فالإنسان يدرك بالحواس وهي عين الحقيقة وهي التي تبرهن على وجود عالم مستقل عن الذات والمعنى الحقيقي لهذا الصراع هو أنه يتسم بالعمومية المطلقة مثلا معرفة الطلبة للكتاب معرفة واحدة، حيث يرى جون لوك أن التجربة هي وحدها التي تنقش في عقولنا الأفكار والمعارف الإنسانية فالإنسان يولد صفحة بيضاء ليس فيه نقش سابق للتجربة وذلك في قوله " لا وجود لمعرفة خارج الواقع ولا وجود لمبادئ نظرية أولية" فالأحكام العقلية تتغير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف ظروف الأعمال ومجالات البحث والمعارف المكتسبة وإذا انطلقنا من هذا المثال سنعرف ما الذي يقصده جون لوك بقوله " الطفل لا يعرف النار إلا إذا لمسها".

فالحواس مصدر المعرفة النافذة التي نطل بها على العالم الخارجي ومن فقد حاسة فقد المعاني المتعلقة بها فالتفاحة مثلا يصل إلينا لونها عن طريق البصر، ورائحتها عن طريق الشم وطعمها عن طريق الذوق....فلو تناول هذه التفاحة الكفيف يدرك كل صفاتها الا لونها، فالكفيف لا يدرك الألوان و الأصم لا يدرك الأصوات فلولا الحواس لما كان للأشياء الخارجية وجودا في العقل.

فكرتنا عن العالم الخارجي ليست سوى مجموعة من الإحساسات تحولت بحكم التجربة الى تصورات فالمعرفة عن طريق الاحتكاك بالعالم الخارجي وما تحدثه الوقائع من آثار حسية هكذا تتكون فكرتنا عن اللين والصلب، الأبيض والأسود القبيح والجميل الخير والشر فلا يستطيع الطفل إدراكها منذ ولادته اذن لا وجود لأفكار فطرية أو مبادئ قبلية سابقة عن التجربة يقول جون لوك (لنفترض أن صفحة النفس بيضاء فكيف

تحصل على الأفكار؟ إني أجيب من التجربة و منها تستمد كل مواد التفكير فنحن ندرك الملموس قبل المجرد و الخاص قبل العام)

حتى إذا انطلقنا من مفهوم السببية أو العلية سنجد انه يستوحي من التجربة، فالإنسان في جميع الأجيال أدركوا أن هناك أشياء معلولة وعلل لها وربطوا الأولى بالثانية وذلك عن طريق التجربة، فيقول فرنسيس بيكون" إن المعرفة التي لا تستمد من التجربة ليست يقينية" إذا فالإنسان في معرفته يعتمد أساسا على التجربة فهي ميزان المعرفة وأساسها.

فالفلسفات العقلانية لا تستطيع أن تبدع بالفطرة المعاني والتصورات وليست لها القدرة على خلق صفة الصدق على ما يبتدعه الإنسان من معرفة، فالمبادئ ليست ضرورية ولا كلية لأن العقل ثمرة التجربة، والتجربة متغيرة وأنه لهذا السبب نفسه تابع لشروط متغيرة، وأحكامه لا تصبح كلية ولا ضرورية إلا بالنسبة لظرف معين فهي نسبية كما أنها غير ذاتية لأنها متعلقة بحوادث متغيرة خارجية.

وهكذا فإن الفلسفات المادية والتجريبية استطاعت ان تصحح مسار الفلسفات السابقة واللاحقة بالتجربة و استطاع الإنسان تحصيل هذا الكم الهائل من المعارف الإنسانية التي تقترب كثيرا من تخوم الحقيقة في أغلب الأحيان، فضل العلوم الرياضية والميكانيكية في ضوء الفكر المادي والتجريبي كبير في تطور العلم الحديث، وانتعاش الصناعة والعلوم الطبيعية تحت ضغط الحاجة إلى التوسع ، قدم للتفكير والتأمل قوة مادية دافعة وأصبحت أكثر العلوم نجاحا نماذج للفلسفة على الرغم من إصرار ديكارت، وإلحاحه في أن تبدأ الفلسفة سيرها من النفس ومن ثم تتابع طريقها إلى العالم الخارجي، لقد دفع تصنيع أوروبا الغربية الفكر بعيدا عن ذاته و اتجه به الى الأشياء المادية.